



تأملات في سورة الكهف

خطب المناسبات

تدبر القرآن الكريم

2024-11-25

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، عنوان لقائنا اليوم: تأملات في سورة الكهف.

رأس مال الإنسان دينه فهو نجاه الأبد أو خسارة الأبد:

أبها الإخوة الأكارم: اخترت هذه السورة سورة الكهف، لأنها سورة العصمة من الفتن، ونحن في زمن الفتن، واشتدَّت الفتن، ولا أقصد بالفتن هنا الشهوات الجلية فحسب، فهذه مع الأسف أصبحت أهون الفتن على صعوبتها، فالنساء فتنة والمال فتنة، لكن من الفتن العظيمة اليوم، تأخر النصر فتنة، تأخر التمكين في الأرض فتنة، ما يصيب المسلمين فتنة، ما يشتدُّ به أذى أعدائهم عليهم، مع استعصافي لم يسبق له مثيل فتنة، التخادل غير المسبوق في نصرة الضعفاء والأخذ بيدهم، والأخذ على يد من يظلمهم فتنة، فهذه الفتن لا أبالغ إذا قلت هي أشدُّ من الفتن المعهودة التقليدية، كشهوة النساء وشهوة المال، على عظم كل هذه الفتن، فاشتداد الفتن يوحى بالإنسان أو يذهب به إلى أنه بحاجة إلى الكهف، الملجأ، الحصن الذي يحمي به حتى لا يخسر دينه، لأنَّ الإنسان رأس ماله دينه، فهو نجاه الأبد أو خسارة الأبد، فإذا خسر دينه فقد خسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله، أمَّا إذا بقي ثابتاً رغم المحن، ولقي الله صابراً، ثابتاً، راضياً بقضائه وقدره فقد فاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْبٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ تَبَاءَهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُمْضِعًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْأَجْرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20)

(سورة الحديد)

فمن هذا المنطلق لا بُدَّ من الكهف، هذا الكهف هو هذا المجلس الذي تأوي إليه أسبوعياً هو كهف، وغيره من مجالس العلم والخير، الصديق الصالح الذي يصحبك في جلك وترحالك، تبته همومك، تحكي له عن بعض ما يراودك من شُهَابٍ، من أشياء، فيقوِّي عزيمتك كهف، بيتك كهفٌ تأوي إليه، فتدخل إلى بيتك بعدما سمعت من هنا ومن هنا، وتحليلات وتحليلات، فتأوي إلى أسرتك الصغيرة، فتقوم عليها هذا كهف، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ يَلِ اتَّيَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شَخْطًا مَطَاعًا، وَهَوَىٰ مُتَّبِعًا، وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ نَفْسِكَ، وَدَعَّ عَنكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ }

(الألباني السلسلة الضعيفة)

{ بَيْنَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ دُكِرَتِ الْفِتْنَةُ، أَوْ دُكِرَتْ عِنْدَهُ الْفِتْنَةُ، فَقَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقُلْتُ: فَكَيْفَ نَفَعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، فَقَالَ لِي: الزَّمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ الْخَاصَّةِ، وَدَعْ عَنكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ. }

(أخرجه أبو داوود وابن ماجه وأحمد)

سورة الكهف هي الحماية من الفتن:

شُخْطًا مَطَاعًا المادية، اليوم المادية مُطَاعَة، اليوم الناس إِلَهُهُم الماده، فريش كان إِلَهُهُم الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ويعرف العاقلون أنها لا تضر ولا تنفع، المادية لا تضر ولا تنفع لكن على الشبكية تضر وتنفع، فالناس اليوم ينظرون إلى أنّ المادية تفعل لهم أشياء كثيرة، تحقق لهم الرفاه مثلاً، (إِذَا رَأَيْتَ شَخْطًا مَطَاعًا، وَهَوَىٰ مُتَّبِعًا) شهوة النساء، هوى النفس، المال والنساء هوىٌّ مُتَّبِعًا، اليوم يقال ستاني فلانة لثوبي الحفل الفلاني، فيحضر الألووف، أو مئات الألووف، أو الملايين على مدى أيامٍ، من أجل النظر إليها، هذا واقع.

(وَهَوَىٰ مُتَّبِعًا) الناس يتبعون الأهواء اليوم لا يتبعون الهدى (وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ) كل واحدٍ الحقِّ معه والباقي على ضلال، هذه الثلاثية لم يسبق أن تحققت كما في هذا الزمن (شَخْطًا مَطَاعًا، وَهَوَىٰ مُتَّبِعًا، وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ)، فإذا لا بُدَّ أن تأوي إلى الكهف، فسورة الكهف هي الحماية من الفتن، المكان الآمن، الملجأ الذي يحميك مما حولك، ولكل إنسانٍ كهفه، المسجد كهف، وقد يكون الكهف زمانياً، رمضان كهف، دورة تدريبية كهف، والحج كهف، والعمرة كهف، فكل هذه كهوف.

مناسبة سورة الكهف مع سورة الإسراء:

أولاً: مناسبة سورة الكهف مع سورة الإسراء التي قبلها، سورة الإسراء افتُتِحَتْ بالتسبيح، بينما افتُتِحَتْ الكهف بالحمد، سورة الإسراء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)

(سورة الإسراء)

والكهف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1)

(سورة الكهف)

ودائماً التسبيح يسبق الحمد.

{ كَلِمَتَانِ حَقِيقَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، تَقْبِلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ. {
(أخرجه البخاري ومسلم)

وفي سورة النصر قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)

(سورة النصر)

فيأتي التسبيح وبأبي الحمد بعده، فسورة الإسراء افتُتحت بالتسبيح، وسورة الكهف افتُتحت بالحمد لله، في أواخر سورة الإسراء، آخر آية قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ □ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا (111)

(سورة الإسراء)

فافتُتحت الكهف بقوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ)، فاختمت الإسراء بالأمر بالحمد، وافتُتحت الكهف بالحمد، وهذا أيضاً من اللطائف الجميلة، واختمت الإسراء بقوله تعالى: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) فجاء في بداية الكهف بقوله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4)

(سورة الكهف)

التوحيد في نهاية الإسراء وبداية الكهف.

الإسراء معجزة من المعجزات الحسينية، والقرآن معجزة مستمرة إلى يوم القيامة من المعجزات العقلية، فجاءت الإسراء لبيان معجزة من المعجزات والتسبيح عليها، وجاءت الكهف لبيان معجزة أخرى وحمد الله تعالى عليها، فهذه من المناسبات بين سورة الكهف وسورة الإسراء.

من فضائل سورة الكهف:

الأمر الثاني: كما قلنا الكهف هو الملجأ الذي يحتمي به المؤمن عند الفتن، وفي هذا نصوص، من النصوص قوله صلى الله عليه وسلم:

{ من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سَطَعَ له نُورٌ من تحت قدمه إلى عَنَانِ السَّمَاءِ يُضِيءُ به يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَغُفِرَ لَهُ ما بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ. {
(أخرجه المنذري إسناده ضعيف)

إذاً سورة الكهف نورٌ يهدي في الطريق.

{ مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ. }

(صحيح مسلم)

وفي رواية ثانية أو حديث آخر:

{ مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ }

(أخرجه مسلم والنسائي وأحمد)

ونحن إذا نظرنا نظرةً متأنيةً، في العشر الأوائل والأواخر من سورة الكهف، وجدنا أنهما يحتويان الموضوعات نفسها، العشر الأوائل والختم الموضوعات نفسها، القرآن الكريم **(الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ)** وفي نهاية الكهف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِثْلَ مَدَادٍ لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَعَهُ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109)

(سورة الكهف)

(وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) نهايتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ □ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

(سورة الكهف)

فالقرآن في البداية والختم، التوحيد في البداية والختم، رسول الله صلى الله عليه وسلم في البداية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْعَلَّكَ تَابِعُ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)

(سورة الكهف)

سورة الكهف هي النور والعصمة من الدجال:

في الختام (فُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) فالموضوعات متناسبة بين المبدأ والختام، فجاءت العشر الأوائل أو الأواخر عصيةً من الفتنة، فتنة الدجال، هذا العصر عصر الدجالة، وبين يدي الدجال دجالةٌ كثر، يتجلى هذا الدجل بشكلٍ واسعٍ جداً، فكم ترى اليوم من الدجالين الذين يكذبون، لكن أحياناً يكذبون في المؤتمرات الصحفية، ويكذبون في المنتديات ووسائل الإعلام، ثم يأتي الدجال الأكبر، ليتَّوَّجَّ هذه الحالة من الدجل، التي أصبح الناس يُصدِّقون كل ناعقٍ، ويتَّبِعون كل دجالٍ، ويُعرضون عن كل صادقٍ أمينٍ يريد لهم الخير.

فسورة الكهف هي النور والعصمة من الدجال ويتكاملان، فمن عُصِمَ من الدجال كان له نورٌ يمشي به في الناس، ومن كان له نورٌ يمشي به في الناس عُصِمَ من الفتن التي تنتشر، ولاسيما فتنة الدجال التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم أبلغ تحذير.

الإنسان وحده يهلك وبالجماعة يقوى:

أيضاً إذا نظرنا في الكهف، وجدناه يشبه غارين، غار جراء وغار ثور، غار جراء هو الغار الذي كان يأوي إليه النبي صلى الله عليه وسلم ليتَّوَكَّلَ الله تعالى اللبالي ذوات العدد، وكان يتفكر وينظر إلى حال قومه، وبأسى لحالهم، ويهرب بدينه منهم ومن أذاهم ومن بطشهم، كذلك كان الكهف ملجأ لهؤلاء الفتية الذين هربوا من أذى قومهم، ومن السلطان الجائر الذي تسلط عليهم.

غار ثور كان في طريق الهجرة، وكان فيه الصاحب أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، والفتية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَحْرُ تَقُصُّ عَلَيْكَ تَبَاهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ قَتِيلَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذَاتُهُمْ هُدًى (13)

(سورة الكهف)

كان معهم أيضاً جمع، لتتخذ دائماً في طريقك إلى الله ضحية، ولو كانت صاحباً واحداً تُعِينُكَ عَلَى الطَّرِيقِ، فالإنسان وحده يهلك وبالجماعة يقوى، هم هاجروا إلى الله، والنبي صلى الله عليه وسلم هاجر فدخل غار ثور في طريق هجرته، ومكث فيه ثلاث ليالٍ في طريقه إلى الله، فالغار والكهف أيضاً مسألة تستحق النظر.

سورة الكهف نزلت قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فهي سورةٌ مكِّيَّةٌ، ونزلت بعد اصطهاد المشركين للمسلمين، يعني في السنة الرابعة للبعثة، ربما في هذه الأوقات بعد ثلاث سنوٍ من البعثة، اشتدَّ أذى المشركين، فجاءت هذه السورة وفيها تسليَةٌ للنبي وأصحابه عمَّا يلاقونه من الأذى، ودعوةٌ لهم للاحتفاء بالله تعالى بكهفهم، أيام ما كانوا في دار الأرقم يجتمعون به، كان الكهف بالنسبة لأصحاب رسول الله، يجتمعون به يتلون كتاب الله، يتدارسونه، يتعلمون سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سبب نزول سورة الكهف:

أما سبب نزولها، فهو أنَّ قريشاً بعثت النصر وعقبة إلى أخبار يهود بالمدينة، وقالوا لهم: نريد قولكم في أمر محمد، هل هو نبيٌّ مرسل؟ أم هو متقولٌ؟ يعني يقول شيئاً ليس صحيحاً يتقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (44)

(سورة الحاقة)

فالتقول هو أن تقول شيئاً لكنه ليس صحيحاً، أن تدعي شيئاً ليس صحيحاً

{ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ مُشْرِكِي قَرِيْشٍ بَعَثُوا التَّضْرِبَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعَقَبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ فَقَالُوا لَهُمْ: سَلُّوهُمْ عَنْ أَمْرِهِ وَأَخْبِرُوهُمْ خَبْرَهُ وَصِفُّوْا لَهُمْ مَقَالَتَهُ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَدِمَا الْمَدِينَةَ فَسَأَلَا أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَنْهُ، وَأَخْبَرُوهُمْ بِمَا يَقُولُ، فَقَالُوا لَهُمْ: سَلُّوهُ عَنْ ثَلَاثٍ فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ بَهَنَ فَهُوَ نَبِيٌّ مَّرْسَلٌ، وَإِلَّا فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ، سَلُّوهُ عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ؟ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ، وَسَلُّوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ طَافَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ تَبْوُهُ؟ وَسَلُّوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ؟ فَانْطَلَقَا فَدَرِمَا مَكَّةَ فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قَرِيْشٍ قَدْ جِئْنَاكُمْ بِقَضَلٍ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، أَمَرْنَا أَحْبَارَ الْيَهُودِ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ ثَلَاثٍ، فَذَكَرَ الْقِصَّةَ، فَجَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: عَدَا أَجِيْبُكُمْ وَلَمْ يَسْتَنْ، فَمَكَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحَيًّا، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أُخْرِزَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَرْجَفَ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ، فَقَالُوا: وَعَدْنَا أَنْ يَجِيْبَنَا عَدَا وَقَدْ مَضَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، أَصْبَحْنَا مِنْهَا الْيَوْمَ لَا يَخِيْرُنَا عَمَّا سَأَلْنَا عَنْهُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ الْكُهْفِ، فَعَاتَبَهُ فِي

أُولَئِكَ عَلَىٰ حَزْنٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِخَيْرِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَأَخْبَرَهُ عَنِ الرَّجُلِ الطَّوَّافِ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۚ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} الآية (85) سورة الإسراء {

(أخرجه الترمذي وأحمد والبيهقي)

يهود عندهم معلومات إما من كتابهم من التوراة، أو من إنبائهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم سيأتي وعنده الغيب، فاسألوهم عن هذه الأمور التي يعلمونها جملةً، لكن يعلمون تفاصيلها، يعلمون أنّ هناك نفرٌ من البشر لهم أمرٌ عجيب كانوا في الزمن الأول، فما شأنهم؟
(ولم يستثن) يعني لم يقل إلا أن يشاء الله شيئاً، وإنما أخبركم غداً، والحقيقة أنّه لمجرد أنه قال أخبركم غداً فهو نبيٌ يوحى إليه، يعني لمجرد أنه أجل الجواب فهو نبي لأنه ينتظر وحيًا، لأنه لو كان متقوِّلاً لقال من عنده ما عنده، لكن لما قال أخبركم غداً، إذاً هو ينتظر الوحي من السماء، فمجرد هذا القول ثبتت لهم نبوته وأقيمت عليهم الحجّة.
ومع ذلك فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوماً وهذا له حكمة، الحكمة الأولى هي بيان أمرٍ مهم وتعليمٌ للأمة، وهو أن لا يعزم الإنسان على أمرٍ فيقول إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله، يعني نعوذ لساننا أننا إذا قلنا غداً فنقول إن شاء الله، ونعوذ أنفسنا مع أولادنا خصوصاً، أنّ كلمة إن شاء الله ليست تلك الكلمة التي تريد أن تنهرب بها من فعل شيءٍ ما، لأنّ الناس اعتادوا أنّ إن شاء الله يعني لن أفعل، نعوذهم أننا إن قلنا إن شاء الله ففعلنا نحن عازمون، وإلا قل له لن أفعل، أو أنّ الآن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة لن أفعله، لكن إذا قلت له إن شاء الله ففعلنا إن لم يغلبن أمرٌ أو يمنعني مانع فساأفعل، حتى يرى الطلاب والناس بعيونهم أنّ هذا فعلاً واقع، عندما يقول إن شاء الله إذا هو عارمٌ على الفعل، لكن قد يمنع مانعٌ فيحول بينه فيؤجل الأمر أو يلغى، فهذا جانب.
لكن الجانب الآخر هو أنّ الله تعالى أراد أن يقول لهؤلاء، إن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان يريد أن يخبركم بما عنده، لأخبركم خلال يوم أو يومين ولما وقع في هذا الحرج، وإنما هو نبيٌ مُرسَلٌ ينتظر الوحي من الله تعالى، وهذا يشبه ما حصل في حادثة الإفك، يوم تأخر الوحي أربعين يوماً عن رسول الله في تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها، فظهر لمن له عقلٌ أو لب، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول من عنده، إذ لو كان يقول من عنده لبرأ زوجته الطاهرة بعد دقائق، وأنهى هذه الحالة من الجدال، ولكن الله عز وجل أجلها من الحكم، والحكم كثيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۚ بَلْ هُوَ خَبْرٌ لَّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)

(سورة النور)

من خيرة الحكم أنه ظهر للناس جميعاً، المُشكك منهم، أنّ الوحي من الله وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا أن يوحى إليه بالأمر، فأخبرهم بما كان من أمر هؤلاء وأجابهم عن أسئلتهم الثلاثة.

من لطائف سورة الكهف أنها سبب لتنزل السكينة وهي عصمة من الدجال:
من خصائص سورة الكهف أنّ قراءتها سببٌ لتنزل السكينة، والقرآن كله كذلك، لكن وردت في السورة تحديداً عن البراء قال:

{ قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ فِي الدَّارِ الدَّابَّةِ، فَجَعَلَتْ تُفْرِزُ، فَسَلَّمَ، فَإِذَا صَبَابَةٌ - أَوْ سَحَابَةٌ - عَشِيَّتُهُ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: اقْرَأْ فَلَانَ؛ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَزَلَّتْ لِلْقُرْآنِ. أَوْ تَزَلَّتْ لِلْقُرْآنِ. }

(صحيح البخاري)

فنزلت السكينة وهذا في القرآن كله، ولكن وردت في الكهف لطيفة من اللطائف، وكما قلنا هو عصمة من الدجال قراءة الكهف، يقول صلى الله عليه وسلم عن الدجال:

{ ذكر رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ فقال إن يخرج وأنا فيكم ! فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤٌ حجيجٌ نفسيه، والله خليفتي على كلِّ مسلمٍ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فوائج سورة الكهف، فإنها جواركُم من فتنته. قلنا: وما لبُّه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يومٌ كسنيّ ويومٌ كشهريّ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامه كما يأميكم فقلنا: يا رسولَ اللهِ: هذا اليومُ الَّذِي كسنته أتكفينا فيه صلاةً يومٍ ليليةٍ؟ قال: لا، افدروا له قدره، ثم ينزلُ عيسى بنُ مريمَ، عند المنارة البيضاء شرفيَّ دمشقٍ فيُدركه عند بابٍ لُدٍّ فيقتله. }

(صحيح مسلم)

لأنَّ سورة الكهف فواتحها وخاتمها ثوابت، ثوابت العقيدة في الفاتحة والخاتمة، ومواجهة الفتن تحتاج إلى إيمان، إلى عقيدة، ما الذي يجعلك تواجه الفتنة؟ ثباتك على مبادئك وقيمك، ما الذي يجعل فلان يهتز عند الفتنة، والثاني يقول لك أنا إيماني لا يتزعزع، لا يتعلق لا بالنصر ولا بالهزيمة، لا بالقوة ولا بالضعف، أنا مؤمن، عقيدته، ثباته، هذا الثبات يأتي من تمسكك بدينك، فهذه المبادئ موجودة في مفتح سورة الكهف وفي ختامها.

أيضاً الكهف من السور العتيقة، يعني من قديم ما حُفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصحابة، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

{ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفُ، وَمَرْبُومٌ، وَطِهٌ، وَالْأَنْبِيَاءُ: هُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُولَى، وَهِنَّ مِنْ تِلَادِي }

(صحيح البخاري)

يعني من أول ما أخذته وتعلمته.

وليس فيها منسوخ، ليس في سورة الكهف أي آية منسوخة، لأن معظم ما فيها أخبار، والأخبار لا تُنسخ، الأمر قد يُنسخ، القيلة تُسخت كانت إلى اتجاه ثم إلى اتجاه آخر، لكن الخبر لا يُنسخ لأنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ □ وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)

(سورة النساء)

فليس هناك خبر يُنسخ، فليس فيها منسوخ.

قصص سورة الكهف والعصمة من الفتن التي تصيب الإنسان:

الآن سورة الكهف، هذه كلها مقدمات، سورة الكهف هي مقدمة وخاتمة وأربع قصص وإشارات سريعة إلى قصتها، فهي قصص، المقدمة جاءت بالمعلومات النظرية، القصص جاءت بالتطبيقات العملية، الخاتمة تأكيدات على المعاني، بهذا الشكل، هذا الهيكل العام للسورة، القصص الأربعة التي تحدت عنها القرآن بتوسيع، قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنين، وقصة موسى والعبد الصالح، وقصة ذي القرنين، وكل منها فيها عصمة من فتنة من الفتن التي تصيب الإنسان.

الفتنة الأولى فتنة السلطان:

قصة أصحاب الكهف فيها العصمة من فتنة السلطان، عندما يكون هناك جهة قوية تتحكم بك، وتمنعك من القيام بشؤون دينك وصلاتك وعبادتك لله تعالى، وتوحيدك له، تتحكم بك، يعني السلطان يعض النظر سواء السلطان الأكبر، أو سلطان معين عليك في عملك، شيء له سلطان عليك، فأنت الآن في فتنة أنك الآن تمنع من أداء دينك فماذا تفعل؟ لا بُدَّ أن تنجو من هذه الفتنة لأن دينك أعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذِ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَعًا (16)

(سورة الكهف)

لا بُدَّ من أن تأوي إلى الكهف.

الفتنة الثانية فتنة المال:

الفتنة الثانية هي فتنة المال، وهي من أعظم الفتن، وهي فتنة صاحب الجنين الذي قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَكَانَ لَهُ تَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُخَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَهْرًا (34)

(سورة الكهف)

والفتنة منها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39)

(سورة الكهف)

أن تنسب الفضل إلى الله تعالى، وأن تعلم أنك مُستخلفٌ في هذا المال، وإلا يكون غرورك سبباً في إهلاك مالك، فهي فتنة وطريقة الخلاص.

الفتنة الثالثة فتنة العلم:

والفتنة الثالثة هي فتنة العلم، عندما يتعلّم الإنسان يُفتن بعلمه، يعني يظنُّ أنه أعلم أهل الأرض، أو أنه لا أحد يُجاربه في العلم، مهما بلغت من العلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ
تَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ۖ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76)

(سورة يوسف)

فهذا موسى عليه السلام نبي من أنبياء الله تعالى، لكن الله قاده إلى رجلٍ آتاه من لدنه علماً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65)

(سورة الكهف)

إذا به يتصرف بتصرفاتٍ غريبة، ثم يُبَدِّرها له، وسببها العلم الذي كان عند العبد الصالح، ولم يكن عند موسى، والعلم أحياناً يكون عند الأدنى أكثر مما يكون عند الأعلى، فليس المهم أنني الأعلى أو أكثر شهادة، فعندي معلومة، لا، قد يكون عند طفلٍ معلومة ليست عندك، وهذا الهدد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَكَتْ عَنِّي بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ (22)

(سورة النمل)

يقول لسليمان الذي ملك الدنيا، يقول له: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ) فقد يكون عند الأدنى من العلم أو عند المفضول ما ليس عند الفاضل.

أيضاً الفتنة من وجهة نظر ثانية، قصة موسى والعبد الصالح، هي فتنة أنك لا تفهم شيئاً يجري في الكون، هذه فتنة، نحن اليوم أمام فتنة عظيمة أننا لا نفهم لماذا يجري ذلك، سكة التصرفات الغير معلومة الحكيم، حكمة الله في ذلك، فاليوم ننظر نحن عندنا فتنة عظيمة، يعني النصر تاجر، الأطفال يقتلون، البيوت تُهدم، الممتلكات تُلغى، كما أتلغ السفينة، الأطفال يُقتلون كما قُتل الغلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِعَمْرِ بَعْدِ جِئْتَنِي سَيِّئًا تُكْرَأُ (74)

(سورة الكهف)

تصرفات غير مفهومة كبناء الجدار لقومٍ لم يطعموهم ولم يضيغفهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَتَوْا أَن يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ □ قَالَ لَوْ نَشِئْنَا لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ
أَجْرًا (77)

(سورة الكهف)

فأنت أمام أحداثٍ تنظر إليها ولا تعرف ما هي حكماتها، إذاً أمام فتنة من الفتن التي تحدثنا عنها في بداية اللقاء، فأبصراً هذه كيفية النجاة منها في الصبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68)

(سورة الكهف)

ثم لِمَا عَلِمَ صبر، إذاً أنت عندما تعلم الغيب، وتعلم أنّ الله عزَّ وجل لا يتصرف إلا وفق الحكمة، ووفق علمه جلَّ جلاله، فتصبر على هذه الفتن العظيمة.

الفتنة الرابعة فتنة التمكين:

القصة الرابعة هي قصة ذي القرنين، وهي فتنة التمكين، العكس الإستضعاف، إذا مُكِّنْتَ في الأرض فعندك فتنةٌ أخرى وهي فتنة الأسباب، الأسباب كلها بين يديك، يعني إنسان يقول لك هذا الموضوع يستحيل أن لا أنجح به، يعني إذا طالب درس ومُكِّن له في الدراسة، يقول لك أنا مستحيل أن لا أنجح غداً، كل أسباب النجاح بين يدي فهل ينسب الفضل إلى الله؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95)

(سورة الكهف)

أن ينسب الفضل إلى نفسه، قارون نسب الفضل إلى نفسه، ذو القرنين نسب الفضل إلى الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ أَتَىٰ سَبْيًا (89)

(سورة الكهف)

أخذ بالأسباب لكنه يعلم أنّ مسبب الأسباب هو الله، فإذا هذه فتنة تحتاج إلى درس، طبعاً أنا لا أفصل هذه الأمور لعلّ نُفصلها في اللقاء القادم، لكن فقط أُعطي الملمح العام في سورة الكهف، الإشارات كانت إشارة إلى بدء الخلق، وهي آدم وبداية خلقه وعلاقته مع إبليس اللعين، لأنّ إبليس أيضاً يشارك في الفتنة، لأنه هو فتنة لبني آدم، فجاءت الإشارة له سريعة مقتضية، وقصة ثانية أيضاً جاءت الإشارة سريعة متعلقة بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَيْشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ
أَعْقَلْنَا قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكُمْ وَاتَّبَعُوا هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا (28)

(سورة الكهف)

لأنّ الفتنة هنا متعلقة بفتنة الجاه والشرف، اليوم مثلاً نكون جالسين، يدخل شخص ربما تكون ثيابه متواضعة لا يظهر عليه أثر مُعِين، وربما لا تنتبه له، هذا خطأ كبير، ثم يدخل شخص له مكانة في المجتمع ومعروف من هو، فيُقام له، ويُجلس في صدر البيت ويُصَيِّف، نعم أنزلوا الناس منازلهم لا مانع، إذا كان إنسان له مكانة في قومه، أن يُنزل المكانة في كل مكان، لكن لا يعني ذلك أن يُهمل الآخر، وخاصةً إذا كان الأمر على حساب الدين، أنت قد تكون في حسابات تجارية مختلفة، لكن عندما يكون الأمر متعلقاً بالدين، فأنت لا يُقبل منك وأنت رجل دين إن صحّ التعبير، أو عالم أو داعية، أن تُكرم أهل المال وتدع، فجاءت (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَيْشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) ما علاقة ذلك بقوله تعالى في مطلع سورة الكهف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَعَلَّكَ بَاجِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْخَدِيثِ أَسَفًا (6)

(سورة الكهف)

أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يجالس هؤلاء، لم يكن مجالسته لهم دنياً، وإن كان الله تعالى علماً به فقال: (يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) لكن النبي صلى الله عليه وسلم كانت مجالسته لهم رغبة منه في هدايتهم، فيُعز دين الله تعالى بهم، فقال: (فَلَعَلَّكَ بَاجِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْخَدِيثِ أَسَفًا) فيكاد يهلك نفسه صلى الله عليه وسلم، ويُذهب نفسه حشراتٍ عليهم لأنهم لم يؤمنوا، وحتى عندما عبس صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2)

(سورة عبس)

الإسلام يُبنى على القيم والمبادئ وليس على المصالح:

لأنه كان مع صناديد قريش يدعوهم إلى الهدى، وابن أم مكتوم أعمى لا يرى عبوسه، لكن الله تعالى عاتبه رغم ذلك، لأنّ الإسلام يُبنى على القيم والمبادئ، وليس على المصالح، من هنا تعلم سيدنا عمر رضي الله عنه تلك المعادلة، كما في قصة جيلة بن الأبيهم، الذي جاء مكة ليعتمر، وكان عمر وقتها في مكة، فجاء ليحج أو ليعتمر، ربما الحج كما تروي الرواية في البداية والنهاية، فجاء حاجاً وإذا به يطوف بالبيت، وإذا برجلٍ يطأ على طرف نوبه فيسقطه عنه، فأخذته العزة بالإثم، فأدار ظهره ولطمه لطمه هسّمت أنفه، فهو بدوي من قزارة، وجيلة بن الأبيهم ملك الغساسنة.

فجاء به عمر رضي الله عنه، وقد صاغ الحادثة الشاعر السوري سليمان العيسى، صاغها على شكل مسرحية كانت تُمَثَل في سورية، قال له: أصحح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟ فقال جيلة: لست ممن ينكر شيئاً، أنا أدب الفتى، أدركت حقّي بيديّ، قال ارض الفتى، لا بُدّ من إرضاءه، ما زال طفرك عالماً بدمائه، أو يُهشمم الآن أنفك، وتنال ما فعلته كُفك، قال كيف ذاك يا أمير؟ هو سوقه وأنا عرشٌ وتاج، كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً، قال: "نزوات الجاهلية ورياح الغنجهة قد دفتهاها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوي الناس لدينا أحراراً وعبداً، قال أنا مرتدٌ إذا أكرهتني، قال عنق المرتد بالسيف نحر، عالمٌ نبيه كل صدع فيه يشبى السيف بداوى وأعر الناس بالعبد بالصلوك وتساوي"، فقال أمهلني حتى الصباح، فهرب في جنح الليل، عاد إلى مملكته وتنصّر، ولما بعد حين أرسل عمر رضي الله عنه رسولاً إلى مملكة الغساسنة، قال له كيف وجدت صاحبك؟ فقال تنصّر وشرب الخمرة، فبكى عمر رضي الله عنه، قال: وما سمعته يقول؟ قال كان يُنثيد فيقول:

فقال ندم لكن بعد فوات الأوان، فقال عمر رضي الله عنه: باع آخرته بدنياه، ترك الآخرة وأخذ الدنيا.

قد يقول قائل، أما كان من المناسب أن يستجلبه عمر؟ لا، ما دام وصلت إلى الحاكم لا، ما دامت بينهما فليصلحا بينهما، لكن ما دام وصلت إلى الحاكم، فالحاكم يأخذ الحق، فهذا البناء لا يبنى إلا بالعدل، (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَيْشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ).

أيضاً آخر ما أريد قوله في (فَلَعَلَّكَ بَاجِعٌ نَفْسِكَ) كما قلنا: باع نفسك أي مُهلكها (فَلَعَلَّكَ بَاجِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْخَدِيثِ أَسَفًا) فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء رحمةً للعالمين، والنبي صلى الله عليه وسلم خاطبه ربه فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)

(سورة الأنبياء)

وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ يَا مُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128)

(سورة التوبة)

فكانت رحمته تبدأ من الجمادات وتنتهي بأعدائه.

النبى صلى الله عليه وسلم كان مُعلِّماً رسالياً:

فحَنَّ الجذع إليه صلى الله عليه وسلم، وبكى الجملي بين يديه، وكان رحيماً بأمته، ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أنه كان يُهلك نفسه رغبةً في هداية الخلق، وكذلك ينبغي أن يكون الداعية الشفوف والأب الرحيم، والمعلم الرسالي، يتعب نفسه في إيصال الحق إلى الناس، ودعوتهم إلى الله لعله يُنجيهم من عذاب الله، ولعله ينجو بهم من عذاب الله تعالى، عنينا أحياناً مُعلِّم رسالي وعندنا مُعلِّم صاحب راتب، يدخُل إلى الصف يُعطي الدرس ويخرج، يدخُل في الوقت المُقرر ويخرج في الوقت المُقرر، لكن المُعلِّم الرسالي تقول له أحياناً: أشفق عليك، لقد أتعبت نفسك، هذء من روعك، يقول لك: أريد أن يفهم الجميع، فالنبى صلى الله عليه وسلم أبى هو وأمى، كان مُعلِّماً رسالياً.

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِمَجْلِسَيْنِ فِي مَسْجِدِهِ فَقَالَ: كِلَاهُمَا عَلَى خَيْرٍ، وَأَخَذَهُمَا أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ؛ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَدْعُونَ اللَّهَ وَيَرْعَبُونَ إِلَيْهِ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَتَعَلَّمُونَ الْفِقَةَ أَوْ الْعِلْمَ، وَيُتَعَلَّمُونَ الْجَاهِلَ، فَهَمَّ أَفْضَلُ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا، ثُمَّ جَلَسَ فِيهِمْ }

(الألباني هداية الرواة)

كان هدفه أن يصل الحق إلى الجميع، فمن هذا الباب كاد يُهلك نفسه وهو يريد أن ينجو بأمته، وهو الذي يصف حاله مع أمته فيقول:

{ مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ أوقد نارًا، فجعل الفراش، والجنادب يقعن فيها، وهو يدبُّهنَّ عنها، وأنا أخذُ بخجرِكُم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي }

(أخرجه مسلم)

أي بالزناز، يعني لا تقتحموها وأنتم تقتحمونها، تريدون أن تدخلوا فيها، فالنبى صلى الله عليه وسلم جاء رحمةً للعالمين، وفي مطلع سورة الكهف (فَلَعَلَّكَ بَاجِعٌ تُفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) هذه محاور عامة في سورة الكهف، وإضاءة سريعة من غير الدخول في تفصيلات السورة، لعلنا في لقاءٍ آخر نُفصّل، أقول ما تسمعون وأستغفر الله.

اللهم انصر إخواننا في عزة، وفّر عنهم فرجاً عاجلاً يا أرحم الراحمين، اللهم يا أكرم الأكرمين كن لهم عوناً ومعيناً، وناصراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً، أطعم جائعهم واكس عريانهم وارحم مُصابهم وأو غريبهم.

اللهم فّر عن أهلنا في فلسطين وفي لبنان وفي السودان، وفي كل مكان يذكر فيه اسمك يا الله، إنك ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.